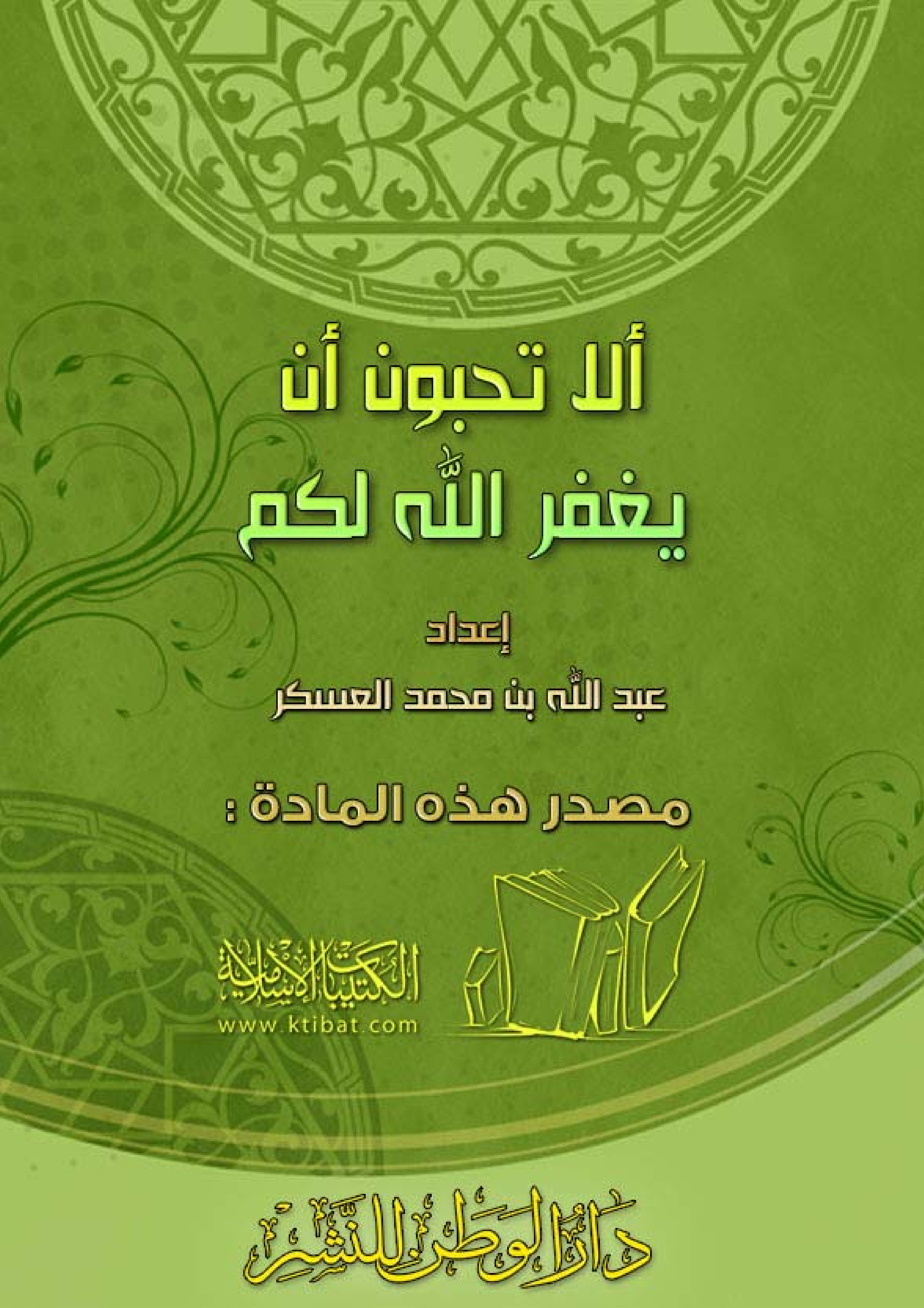

ألا تحبون أن
يغفر الله لكم
إعداد
عبد الله بن محمد العسكر
مصدر هذه المادة :
الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com
دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى أصحابه ومن استنَّ بسنته وسار على نهجه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، أما بعد:

أيها الإخوة والأخوات:

فإن من المقرر عند كل مسلم ومسلمة أن الله تبارك وتعالى لم يخلقه عبثا، تعالى الله عن ذلك؛ إنما هي غاية واحدة ومقصد أوحد من أجله خلق العباد، ألا وهو تحقيق العبودية لله ــ جل جلاله ــ فهو السيد المولى، فمن حقه أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر.

ومنذ أن خلق الله ــ تبارك وتعالى ــ أبانا آدم وهو قد أخذ عليه العهد قبل أن يخلقنا بأن نعبده ونوحده ولا نشرك به شيئا كما قال ــ جل جلاله ــ: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا**﴾[2].

---

(١) أصل هذه الرسالة محاضرة ألقيت في جامع أبي بكر الصديق بمدينة الخرج بتاريخ (١٤٢٣/٢/١٧هـ) وقد قام الأخوان: عمر بن محمد الرويس، وعمر طمبل بتفريغها والعناية بتخريج أحاديثها وعزو ما فيها من نصوص وإعدادها للطبع. جزاهما الله خيرا.

(٢) الأعراف: ١٧٢.

ومع هذا الميثاق إلا إنه من كرمه ـــ جل جلاله ـــ ومن عظم فضله وامتنانه أن أرسل الرسل مبشرين ومنذرين زيادة في الحجـــة، وبلاغا على العباد، وبشارة لمن أراد موعود الله والدار الآخرة.

وإن المتأمل في واقع أكثر الخلق وعامة الناس يلحظ وبجـــلاء أن الطائعين لله نزر يسير وعدد قليل، مقابل الكم الهائل مـــن البشـــر الذين أغوهم نفوسهم فأزاغتهم وأضلتهم عن سواء الصراط!!

أيها الإخوة والأخوات: إنه لمما يدمي القلب ويدمع العين ما نراه من الاجتراء على حرمات الله من كثير من المســـلمين ومـــع الأسف الشديد.

أجل!! لقد تساهل الكثيرون في المعصية، وهانت على نفوسهم الذنوب، فأصبح أولئك يعاقرون ما يسخط الله ويغضبه وكأن شيئا لم يكن!! فإلى الله المشتكى وهو المستعان.

ومع تقدم إنسان هذا العصر ماديا وحضاريا؛ تنوعت وســـائل الإغواء والانحراف، واجتالت الشياطين أكثر الناس فأغرقتـــهم في أوحال المعصية، وأردهم في حفر الخطيئة. وزاد البعد عن الله الواحد الأحد الذي لم تنقطع نعمه، ولم تنته فضائله؛ بل هي متتابعة تترى على عباده. فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟!!

فيا من أطلق لنفسه العنان، ولم يرع لله ـــ تبارك وتعـــالى ـــ حقا: إلى متى وأنت تقتات المعصية وتألفها؟!!

ألم يحن بعد وقت الرجوع إلى الله -تبارك وتعالى؟!

أما آن لك أن تنطرح بين يدي مولاك؟!

أما آن لك أن تفيق من سكرة الذنب؟!

أيها السائر في طريق الهوى واللذة العابرة: رويداً رويداً.

أتعرف الذي تعصيه؟!

أتعرف من تبارزه بذنبك؟!

إنه الله الجبار الذي بيده ملكوت السماوات والأرض!!

أيها المسرف على نفسه: كفاك كفاك...

آن لك أن تضع عصا الترحال، وأن تذرف الدموع الغزار، دموع الندم على ما فات وسلف من الأزمان الماضية... على ما سلف من ذنوبك وخطاياك...

نعم، آن لك أن تعترف بذنبك لربك وتقول بلسان النادم الأواب:

دعني أنوح على نفسي وأندبها
وأقطع الدهر بالتذكار والحزن
دعني أسح دموعاً لا انقطاع لها
فهل عسى عبرة منها تخلصني
دع عنك عذلي يا من كنت تعذلني
لو كنت تعلم ما بي كنت تعذرني
أنا الذي أغلق الأبواب مجتهداً
على المعاصي وعين الله تنظرني

يــــا ذلـــــة كتبـــــت في غفلـــــة ذهبـــــت
يـــا حســـرة بقيـــت في القلـــب تحـــرقني
تمــــر ســــاعات أيــــامي بــــلا نـــدم
ولا بكـــــاء ولا خــــوف ولا حــــزن
مــــا أعلــــم الله عـــني حـــين أمهلـــني
وقـــد تماديـــت في ذنـــبي ويســـترني

إي والله يا عباد الله، ما أحلم الله عنا!!

كم عصيناه ويسترنا؟!! كم خالفنا أمره فما عاجلنا بعذابه؟!!

أظهر للناس الجميل، وأخفى عنهم القبيح من سرائرنا. فاللـــهم رحمة من عندك تكفر بها ما سلف من ذنوبنا وخطايانا.

أيها الإخوة والأخوات:

إن هذه الكلمات دعوة لنا جميعا بـــلا اســـتثناء، إلى البـــاب المفتوح، إلى النهر العذب، إلى الروضة الغناء التي لا يذبل زهرهـــا، ولا تذوى رياحينها وورودها، إلى التوبة النصوح، إلى التوبة مـــن التقصير في الطاعة، ومن الوقوع في المعصـــية، إلى التوبـــة إلى الله الكريم الجواد الرؤوف الرحيم...

إن شأن التوبة ـــ يا عباد الله ـــ شأن عظيم. إنها علامة صدق الإيمان، وقرب العبد من الواحد الديان.

وليست التوبة ـــ كما يظن البعض ـــ خاصة بأهل المعاصي ممن ظهر فجورهم وبان فسقهم!!

ليست التوبة خاصة بهؤلاء فحسب؛ بل هي عامة لنا جميعـــاً، كما قال الله ـــ جل جلاله ـــ في كتابه الكريم: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾(١).

وجاء في صحيح مسلم من حديث الأغر المزني ـــ رضـــي الله عنه ـــ أن رسول الله ـــ ﷺ ـــ قال: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة!!**»(٢).

هذا نبي الله ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ يتوب في اليوم ويستغفر مائة مرة**!!** فكيف بنا نحن المقصرين المذنبين؟**!!**

سأقف وإياكم ـــ أيها الأحبة في الله ـــ بعض الوقفات حـــول هذا الموضوع المهم الذي كلنا بحاجة إليه لعلنـــا أن نحيـــي بهـــذه الوقفات القلوب، ونقربها من الله علام الغيوب.

وعسى أن يكون لهذه الوقفات أثـــرٌ في حياتنـــا وســـلوكنا، وإصلاح بواطننا وظواهرنا.

ومن يدري: فربما أن كلمة من هذه الكلمات تقـــع في قلـــب مؤمن أو مؤمنة فتحدث فيه هزة ويقظة تكون بها سعادته في الدنيا، وفوزه الفوز الكبير في جنات النعيم، والله المستعان وعليه التُّكلان.

---

(١) النور: ٣١.
(٢) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، حديث رقم (٦٧٩٩).

الوقفة الأولى

ثمار التوبة

إن حصر ثمار التوبة أمر شاق يحتاج إلى وقت طويل ولا شك. ولكن حسبنا أن نذكر بعضها، وكفى بما سنذكره دافعا ومعينا لمن أراد الخير والفلاح.

أول هذه الثمار:

تكفير جميع السيئات، بل وقلبها إلى حسنات!!

أرأيت ــ أخي المسلم ــ أكرم من ربك ــ عز وجل ــ ؟!!

إنه إن أتيته تائبا منيبا فإنه يكفر ما سلف من سيئاتك، وأعظم من ذلك أنه ــ جل جلاله يقلب تلك السيئات إلى حسنات!!

يقول جل شأنه: ﴿**وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾[١].

فيا أيها المذنبون ــ وكلنا كذلك ــ: ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟!!

ألا تحبون أن تغسلوا عنكم أدران الذنوب بماء التوبة الطهور؟!!

---

(١) الفرقان: ٦٨-٧٠.

جاء في صحيح مسلم من حديث أبي ذر الغفاري ــ رضي الله عنه ــ أن نبي الله ــ ﷺ ــ قال: «**إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، وآخر أهل النار خروجاً منها: رجل يؤتى به يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها. فعرض عليه صغار ذنوبه. فيقال: عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، فيقول: نعم لا يستطيع أن ينكر**» يذكر بذنوبه فهل يستطيع أن ينكر منها شيئا في ذلك المقام؟! كلا إنه ليس بين يدي بشر من البشر، بل هو بين يدي رب البشر الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء «**فيقول العبد: نعم، لا يستطيع أن ينكر، وهو مشفق من كبار ذنوبه تعرض عليه**» إذاً الذي عرض عليه ما هو إلا صغار الذنوب وأما الكبائر فقد أُخفيت عنه!! «**فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة!!**» عند ذلك يطمع العبد - وهذه طبيعة الإنسان - فيتذكر ذنوبه الكبار «**فيقول: رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا**»!! قال أبو ذر: «فلقد رأيت رسول الله ــ ﷺ ــ ضحك حتى بدت نواجذه»(١).

وأورد المنذري في الترغيب والترهيب والطبراني في المعجم بإسناد حسن عن أبي طويل ــ رضي الله عنه ــ أنه أتى إلى الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ فقال: يا رسول الله، أرأيت من عمل الذنوب كلها، ولم يترك حاجة ولا داجة إلا أتاها (يعني لا

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم (٤٦٦).

صغيرة ولا كبيرة إلا أتاها)، فهل لذلك من توبة؟ فقال ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ بشارة لكل تائب وتائبة، قال: «**تفعل الخيرات وتترك السيئات فيجعلهن الله خيرات كلهن!!**» فقال هذا الصحابي: يا رسول الله وغدراتي وفجراتي؟ قال: «**نعم**» فقال: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، فما زال يكبر حتى توارى عن القوم!![(١)].

وإن شئتم ـــ إخوتي وأخواتي ـــ أن تروا كرم الله وفيض عطائه على التائبين فدعونا نقف جميعاً مع قصةٍ لصاحبي وصاحبية وقعا في معصية ثم بادرا بالتوبة منها. وهم بشر كغيرهم يخطئون ويصيبون؛ لكن الفرق بينهم وبين كثير من الناس أن أولئك القوم سرعان ما يبادرون إلى التوبة، سرعان ما يعودون إلى الله -جل جلاله.

وذاك دأب الصالحين. يقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ**﴾[(٢)].

إنها قصة الصحابي الجليل ماعز الأسلمي، والصحابية الجليلة الغامدية ـــ رضي الله تعالى عنهما وأرضاهما...

إنها بحق قصة عجيبة!!

فيها من العبر ما يهز الوجدان، ويرفع منسوب الإيمان في قلب كل مؤمن.

---

(١) المعجم الكبير حديث رقم (٧٢٣٥).
(٢) الأعراف ٢٠١.

جاء في صحيح مسلم عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: جاء ماعز بن مالك ـــ رضي الله عنه ـــ إلى رسول الله ـــ ﷺ ـــ فقال: يا رسول الله، طهرني. قال: «**ويحك، ارجع فاستغفر الله وتب إليه**» فرجع غير بعيد، ثم عاد مرة أخرى، فقال: يا رسول الله، طهرني!! فقال ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ: «**ويحك، ارجع فاستغفر الله وتب إليه**» حتى إذا كانت الرابعة قال رسول الله ﷺ: «**فيم أطهرك؟!**» قال: من الزنا يا رسول الله!! فسأل النبي ﷺ بعض من حوله: «**أبه جنون؟!**» فقال بعض قومه: «**والله يا رسول الله ما علمنا به جنوناً**» فقال: «**أشرب الخمر؟!**» فقام أحد الناس إلى هذا الصحابي ـــ رضي الله عنه ـــ فاستَنْكَهَه (يعني شمَّه) فلم يجد منه ريح الخمر!!

لقد كان بإمكان هذا الصحابي عندما قال له النبي ـــ ﷺ ـــ: «**ارجع**» في أول مرّة أن يذهب ويقول: قد أخبرت رسول الله وبرئت ذمتي. ولكنه ـــ رضي الله عنه ـــ كان في قلبه الإيمان والخوف من سطوة الله وعذابه!!

ثم ماذا؟ لقد جاء يطلب التطهير من ذنبه وهو يعلم أنه القتل، وأي قتل؟!!

إنه رمي بالحجارة حتى الموت وأمام أعين الناس!! فالأمر صعب وشاق، ومع هذا كان ـــ رضي الله عنه ـــ يلحُّ في طلب ذلك!!لِم كل هذا؟ لأجل أن ينجو من عذاب الله!!

إنه يعلم أن العقوبة في الدنيا وإن كانت قاسية وأليمة، لكن

ليست بأقسى ولا أخزى من غمسة واحدة في نار جهنم!! فكان من شأنه أن يتحمل عذاب الدنيا لأجل أن ينجو من عذاب الله غداً!!

فلما جاء هذا الصحابي في المرة الرابعة وكرر الطلب ما كان للنبي ــ ﷺ ــ بدٌّ من أن يأمر به فيرجم ــ رضي الله عنه وأرضاه.

نعم لقد رُجم هذا الصحابي، فكان الناس فيه فرقتين: قائل يقول: لقد هلك، لقد أحاطت به خطيئته. وقائل يقول: ما توبة أفضل من توبة ماعز.

فلبثوا يومين أو ثلاثة، ثم جاء رسول الله ــ ﷺ ــ وهم جلوس فسلم عليهم، ثم جلس وقال: «**استغفروا لأخيكم ماعز بن مالك**» قالوا: غفر الله لماعز بن مالك، فقال النبي ــ ﷺ ــ: «**لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم**»(١).

وجاء في رواية لأبي داود: إن النبي ــ ﷺ ــ حينما أمر برجم ماعز ــ رضي الله عنه ــ سمع رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه: انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رُجم رجْمَ الكلب!!

فسكت رسول الله ــ ﷺ ــ وسار هو ومن معه من الصحابة، ومعهم هذا الرجلان حتى مرَّا بجيفة حمار شائل برجله، فقال ــ عليه الصلاة والسلام ــ حين وقف: «**أين فلان وفلان؟**» فقالا:

(١) رواه مسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا، حديث رقم (٤٤٠٦).

نحن ذان يا رسول الله، فقال: «**انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار**»!! فقالا: غفر الله لك يا رسول الله، ومن يأكل من هذا الحمار؟!! فقال ــ عليه الصلاة والسلام ــ: «**ما نلتما من عرض أخيكما آنفاً أشدُّ من أكلٍ منه!! والذي نفسي بيده إني لأراه الآن ينغمس في أنهار الجنة**»!![1].

الله أكبر، إنها كرامة الله، إنه فضل الله... وهل وجدتم أعظم من أنْ جاد بنفسه في سبيل الله؟!!

أما صاحبته الغامدية فقصتها أعجب وأعجب!!

لقد علمت بالطريقة التي مات بها ماعز ــ رضي الله عنه ــ فلم تستخف عن الناس، لم تهرب منهم؛ بل لقد كان شأنها عجباً من العجب!!

جاء في صحيح مسلم في قصة هذه المرأة: إنها جاءت إلى النبي ــ ﷺ ــ فقالت: يا رسول الله إني زنيت فطهرني!! فردها رسول الله ــ ﷺ ــ وأشاع عنها يميناً، فجاءته من عن يمينه، فقالت له ذلك!! فأشاع عنها شمالاً، فجاءته من ناحية الشمال!! فقال لها ذلك، يصرف النبي ــ ﷺ ــ بصره عن هذه المرأة لعلها أن تذهب، لعلها أن تستر نفسها!! لكنها ــ رضي الله عنها ــ قالت له ــ ﷺ ــ: لعلك تردني كما رددت ماعزاً، فوالله إني لحبلى من الزنا!!

فقال ــ عليه الصلاة والسلام ــ: «**إمَّا لا، فاذهبي حتى**

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الحدود، باب رجم ماعز بن مالك، حديث رقم (٤٤١٩)، وصحح إسناده الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢١٦/٤).

تلدي»!!

فذهبت، وجلست تسعة أشهر حتى ولدت رضيعها. فعـــادت بعد تسعة أشهر، وجاءت بالصبي في خرقة!!

هي التي جاءت بنفسها ولم يطلبها النبي ــ ﷺ ــ ولم يأخـــذ عليها عهداً. فقالت: ها قد ولدته يا رسول الله فطهرني!!

فقال النبي ــ ﷺ ــ: «**اذهبي حتى ترضعيه، ثم تفطميه**»!!

فذهبت لترضعه. أهو يوم أم يومان؟! أم شـــهر أم شـــهران؟! كلا، إنها سنتان كاملتان!!

ذهبت وجلست سنتين وقبلها تسعة أشهر ونار المعصية تشوي فؤادها وتقض مضجعها. فكم أهرقت لها من دمعة؟! وكم أسبلت لها من عبرة؟! تبيت الليالي ذوات العدد في حالك الظلمات تناجي ربها، وتشكو بثَّها وحزنها إلى الذي يراها، ويبصر ضعفها وهي تعفِّر جبينها ساجدة لربها، مقرَّة بخطيئتها، نادمة على فعلها!!

فلله درُّها ما أعظم خشيتها!! ولله درها ما أجـــلَّ إعظامهـــا لمولاها!!

لقد قضت تلك الصحابية الجليلة أيامها التي حدّدها رسول الله ــ ﷺ ــ حتى تفطم ولدها، وكلها شوق إلى ذلك اليوم، وذلـــك الميعاد. وأي ميعاد؟! أهو لقاء حبيب؟! أهي ليلة عرس؟! أهو فـــوز بشهادة أو منصب؟!

كلا والله بل هو موعد مع الموت...

أجل إنه الموت، وأي موت؟! إنه الرجم بالحجارة على مشهد من الناس!!

ألا تعجبون ــ إخوتي وأخواتي ــ من هذا الإيمان الذي يزلزل الجبال الراسيات؟!

أتت إلى النبي ــ ﷺ ــ بعد أن فطمت صبيها، جاءت به، وفي يده كسرة من خبز. تقول: يا نبي الله ها قد فطمته، وقد أكل الطعام، واستغنى عني!!

فدفع النبي ــ ﷺ ــ بالصبي إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها فحُفر إلى صدرها، ثم أمر الناس فرجموها حتى زهقت روحها الطاهرة... وارتفعت إلى مولاها راضية مرضية...

هانت عليها نفسها في ذات الله، واستعذبت العذاب طمعاً في مغفرة رب الأرباب!!

صعدت روحها إلى الله حيث النعيم المقيم، ورحمة الكريم الرحيم.

لقيت ربها نقية من الذنوب، سالمة من الآثام، فرحة برضا خالقها.

وكان من بين من رجم تلك المرأة من الصحابة، خالد بن الوليد ــ رضي الله عنه ــ فرجمها بحصاة في رأسها فتنضَّح الدم على وجهه، فغضب وسبها ــ غفر الله له ــ، فسمع رسول الله ــ ﷺ ــ ما قاله خالد، فقال: «**مهلا يا خالد، فوالذي نفسي بيده**

لقد تابت توبةً لو تابها صاحب مَكسٍ[(١)] لغفر الله له»[(٢)].

ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت ــ رضي الله عنها وأرضاها ــ وألحقنا بها في جنات وأنهار في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

فأبشروا ــ معاشر التائبين والتائبات ــ أبشروا برحمة الله وتكفيره لخطاياكم وذنوبكم ولو بلغت عنان السماء.

الثمرة الثانية من ثمار التوبة

تغير الحياة من جحيم إلى نعيم

إن أسعد الناس هم التائبون والتائبات؛ لأنهم قوم رقَّت قلوبهم، وخشعت لمولاها، فأورثها الله حلاوة وجدوها في نفوسهم.

وهذه اللذة لا تكون إلا لمن أظهروا فقرهم لله وانطرحوا بين يديه خاشعين باكين وأنابوا إليه. لقد ذاقوا بذلك حلاوة رزقهم الله إياها لا تحصل لأي أحد غلا لمن كان على مثل حالهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ: «القلب لا يصلح ولا يفلح ولا يتلذذ ولا يسر ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه»[(٣)].

---

(١) المكس: الضريبة التي يأخذها الماكس وهو العشار. انظر: النهاية في غريب الأثر، للجزري (٣٤٩/٤).
(٢) رواه مسلم وقد سبق تخريجه ص (١٦).
(٣) فتاوى ابن تيمية (١٩٣/١٠).

وما ذكره ـــ رحمه الله ـــ هو مصداق قول الرسول ـــ ﷺ ـــ كما جاء في صحيح مسلم من حديث العباس بن عبد المطلب: «**ذاق حلاوة الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ـــ ﷺ ـــ رسولاً**»(١).

وانظروا ـــ عباد الله ـــ إلى كلام ابن القيم وهو يتحدث عن شيخه ابن تيمية الذي سبق ذكر قوله آنفاً.

شيخ الإسلام ابن تيمية ابتُلي كثيراً!! تعرض لكثير من المشقة وكثير من العناء في حياته، هُدِّد... سُجن... طرد من بلاده... كثير حاسدوه وشانؤوه... ومع ذلك كله: هل كان تعيساً؟ هل كان شقياً؟ هل كان كثير الأحزان؟

اسمعوا إلى كلام ابن القيم عنه يقول: «كان شيخ الإسلام يقول في سجوده وهو محبوس: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك. وقال لي مرة: المحبوس من حُبس قلبه عن ذكر ربه!! والمأسور من أسره هواه!!».

ولما دخل السجن سجن القلعة وصار داخل سورها نظر إلى السور وقرأ قول الله تعالى ﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ**﴾. ثم يقول ابن القيم: «وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشا منه قط مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم. ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً فهو مؤمن، حديث رقم (١٥٠).

والإرهاق!! وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم وأقواهم وأسرهم نفساً!! تلوح نضرة النعيم على وجهه! وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت بنا الظنون، وضاقت بنا الأرض، أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً!! فسبحان من أشهدَ عباده جنته قبل لقائه»[1].

الثمرة الثالثة من ثمار التوبة

فرحة الله بتوبة عبده وأمته

أوَ يفرح الله؟! نعم، إن ذلك من صفاته، بل إن من صفاته أن يضحك ــ جل شأنه ــ وقد ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ في الحديث الطويل في خبر آخر من يدخل الجنة حيث يدعو ربّه ويلح عليه في الدعاء، قال ــ ﷺ ــ فيقول: «**أي ربِّ لا أكوننَّ أشقى خلقك، فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه، فإذا ضحك منه قال له: ادخل الجنة، فإذا دخلها قال الله له: تمنّه، فسأل ربه وتمنَّى حتى إن الله ليذكره يقول: كذا وكذا، حتى انقطعت به الأماني، قال الله: ذلك لك ومثله معه!!**»[2].

(١) الوابل الصيب ١/٧٠.

(٢) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ**﴾ حديث رقم (٧٠٠٠)

أيها الإخوة في الله: إن الله ــ جل جلاله ــ ليفرح بتوبة عباده وهو الغني عنهم وهم الفقراء إليه!! يقول جل شأنه: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ**﴾[1].

أي فرحة هذه؟ وما مقدارها؟ اسمع إلى قول رسول الله ــ ﷺ ــ في حديث مشهور معروف يبين كيف تكون فرحة الله بتوبة عبده إذا تاب إليه.

جاء في صحيح البخاري ومسلم من حديث أنس ــ رضي الله عنه ــ يقول النبي ــ ﷺ ــ: «**لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه**» فلتت منه ناقته وندَّت عنه فذهب يبحث عنها، صعد الجبال نزل الوديان، يبحث يميناً وشمالاً فلم ير لها أثراً، وعلى هذه الدابة طعامه وشرابه وكساؤه!! أين هو؟! في صحراء ما بها أحد ينقذه ولا بشر يساعده!! «**فآيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك**» ينتظر ماذا؟ إنه ينتظر الموت!! إذ به يرفع رأسه «**إذا هو بها قائمة عنده**» وعليها طعامه وشرابه وكساؤه!! تخيلوا معي ــ إخوتي وأخواتي ــ: أيّ فرحة ستتملّك قلب ذلك العبد حينما يكون حاله كهذه الحال؟!! إنها فرحة عظيمة... إنها حياة جديدة... «**فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك!! أخطأ من**

---

(١) فاطر: ١٥-١٧.

شدة الفرح!!»[١].

إن الفرح قد تملك قلبه، وأطاش لبَّه حتى نسي وغلط فَقَلَبَ، وقال: أنت عبدي وأنا ربك!!

إن هذه الفرحة الكبرى في قلب ذلك العبد الناجي من الهلاك لا تساوي شيئاً أما فرحة الله ـــ جل في علاه ـــ بتوبة عبده إذا جاءه تائباً نادماً!!

الله أكبر!! إنه كرم الله وجوده، وعطفه وامتنانه. فلا عذر ـــ بعد ذلك ـــ لأحد أن يبتعد وأن يتردد عن القرب من الكريم الجواد ـــ جلّ في علاه ـــ.

كيف والله يقول كما جاء في الحديث القدسي الثابت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ يقول الله الكريم الغني عن عباده: «**من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة!!**»[٢] القائل هو الله!! أتخيّلت ذلك؟!!

وعند البخاري «**وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبّه!! فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنّه. وما ترددت عن شيء أنا فاعله**

(١) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة، حديث رقم (٦٣٠٨).
(٢) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الذكر الدعاء، حديث رقم (٢٦٨٧).

ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته!!»[1].

فاللهم ارزقنا حبك وحب من يحبك وحب العمل الذي يقرب إلى حبك،واجعلنا من أحبابك وصفوة أوليائك.

الثمرة الرابعة من ثمار التوبة
الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة والتنعم بالجنة والنجاة من النار

أيها الإخوة والأخوات: إن أمامنا يوماً لا مفر منه، ولا محيص عنه. وإن أمامنا موقفاً لابد منه. إنه يوم تبدل فيه الأرضُ غير الأرض والسموات، إنه اليوم الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين. يوم أهواله شديد، وساعاته عصيبة، فليت شعري ما حالنا في ذلك اليوم؟!! أنحن من المكرمين المنعمين، أم نحن من المهانين المبعدين؟ فاللهم لطفك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

ما أحوجنا ــ أحبتي الكرام ــ إلى وقفة تذكير بذلك اليوم العصيب. فالورود عليه حتم لازم لا مناص عنه.

إنه يوم القيامة ﴿**ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ**﴾. فهل نحن ممن يذكر نفسه بذلك اليوم؛ ليكون ذلك دافعاً له لفعل الصالحات وهجر المحرمات والموبقات؟

---

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، حديث رقم (٦٥٠٢).

دخل أمير المؤمنين المهدي إلى مجلسه فوقف النـــاس تبجـــيلاً واحتراماً إلا عالم من العلماء الربانيين وهو ابن أبي ذئـــب، فمـــا وقف!! فاستشاط الخليفة غضباً وقال: «ما منعك ألا تقم حيـــث رأيت الناس يقومون»؟ قال: «إني لما رأيت قيامهم تذكرت يـــوم يقوم الناس لرب العالمين، فتركت القيام لأجل ذلك اليوم!! فقـــال الخليفة: والله أطرت شعر رأسي بكلامك».

دعوني معاشر الإخوة الكرام أقف وإياكم أقف وقفـــة تنقلنـــا بخيالنا على ذلك العالم الأخروي الذي شابت له رؤوس الصالحين، وأقض مضاجعهم، فدأبوا بأنفسهم، ووقفوا في ظلمات الليل باكين متضرعين إلى الله يرجون النجاة من هول ذلك اليوم!!

صورة واحدة فقط من صور ذلك اليوم العصيب، ذكرها ابـــن المبارك في كتاب الزهد(١) والطبري في التفسير(٢) وحسن إســـناد الرواية ابن حجر عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قـــال: «إذا كان يوم القيامة مُدَّت الأرض حتى تكون كالأديم وزيد في سعتها كذا وكذا وجميع الخلائق في صعيد واحد، جنِّهم وإنسهم قال: ثم تنشق السماء الأولى عن أهلها» من أهلها؟ إنهم الملائكة!! وهل فيها ملائكة؟ نعم، إن الملائكة قد امتلأت بهم السموات السبع كما جاء في الحديث الذي رواه ابن ماجة من حديث أبي ذر يقـــول ــ ﷺ ــ: «**أطت السماء** ــ أي ثقلت ــ **وحق لها أن تئط!! ما فيهـــا**

(١) الزهد لابن المبارك ص٥٠٧.
(٢) تفسير الطبري ١٨٥/٣٠.

موضع أربعة أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجد لله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، وما تلـــذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجـــأرون إلى الله»(١)

يقول ابن عباس: «ثم تنشق السماء الأولى عن أهلها فيتناثرون على أهل الأرض فيفزعون منهم فيقولون أفيكم ربنا؟ قـــال فيقولـــون: تعالى الله وإنه لآت!!» أجل، هذا اليوم الذي يأتي فيه الله ﴿**وَجَـــاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾وقال ابن عباس: «والذي نفسي بيده إن أهل السماء الأولى لكمثل أهـــل الأرض مـــن إنســـهم وجِـــنِّهم بالضعف!! هل تخيلت المشهد؟!! قال: ثم تنشق السماء الثانية عـــن أهلها، فيتناثرون على أهل الأرض من الإنس والجـــن والملائكـــة فيفزعون منهم ويقولون: أفيكم ربنا؟ فيقولون: تعالى الله وإنه لآتٍ. والذي نفسي بيده إن أهل السماء الثانية لكمثل أهل الأرض مـــن إنسهم وجنِّهم وكمثل أهل السماء الأولى بالضـــعف!! والســـماء الثالثة كذلك والرابعة والخامسة إلى السابعة!! قال: ويجـــيء الله – تبارك وتعالى– والأمم جثيٌ صفوفٌ، فينادي منـــادٍ: اليـــوم يـــوم الكرم!! ليقم الحامدون لله على كـــل حـــال. قـــال: فيقومـــون ويسرَّحون إلى الجنة!! ثم يقال: أين الذين تتجـــافى جنـــوبهم عـــن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقـــون؟ قـــال: فيقومون ثم يسَّرحون إلى الجنة!! ثم يقال: أين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب

(١) رواه ابن ماجة، كتاب الأخلاق والبر والصلة، حديث رقم (٤١٩٠) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة، حديث رقم (٣٣٧٨).

فيه القلوب والأبصار؟ قال: فيقومون ثم يسرحون على الجنة. قال ثم يخرج بعد ذلك عُنُقٌ من النار يشرف على الناس!! له عينان تبصران ولسان فصيح، فيقول: إني وكِّلت بثلاثة: إني وكِّلت بكل جبار عنيد، قال فيلتقطهم من بين الناس كما يلتقط الطير حب السِّمسم، ثم يلقي بهم في غمرات جهنم. قال ثم يخرج ثانية فيقول: إني وكِّلت بمن آذى الله ورسوله، فيلتقطهم من بين الناس كما يلتقط الطير حب السمسم، ثم يهوي بهم في غمرات جهنم. ثم يخرج ثالثة فيقول: إني وكّلت بأصحاب التصاوير، فيلتقطهم من بين الناس كما يلتقط الطير حب السمسم. فإذا أُخذ هؤلاء وهؤلاء نشرت الصحف ووضعت الموازين ودعي الخلائق للحساب!!».

أيها الأحبة: إنه مشهد عظيم تشيب فيه رؤوس الولدان، وتضع فيه كل ذات حملٍ حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد.

فمن ينجو عندئذٍ؟!! من يسلم من كربات الموقف وهول المطلع؟!!

إنهم أهل الإيمان، أولياء الله المسارعون إلى مرضاة ربهم، إنهم التوابون والتوابات، المنيبون والمنيبات، الذي أعدوا لهذا اليوم عدته وأخذوا له أهبته فهنيئاً لهم، هنيئاً لهم الأمن يوم يفزع الناس، والطمأنينة يوم يخاف الناس، والشِبَع يوم يجوع الناس، والرِّي يوم يعطش الناس...

إنهم في ذلك اليوم العصيب الذي يبلغ فيه الجهد من العباد مبلغاً

عظيما، وتنزل الشمس فيه على رؤوس الخلائق، ترى هؤلاء الثلة من عباد الله من التائبين والتائبات يأتون ويردون إلى حوضه ــ ﷺ ــ ليشربوا من يده الشريفة شربة هنيئة لا يظمؤون بعدها أبداً!!

أجل، لقد انتهى وقت الشدة والعناء... ذهبت الهموم والغموم والأحزان... ذهب ذلك كله ليبدأ نعيم سرمدي، وحياة جديدة... يسقي محمد ــ ﷺ ــ بيده الشريفة أولئك الصالحين...

وكم وارد إليه في ذلك الموقف يطلب شربة ماء فلا يمكّن من ذلك والعياذ بالله!! يقول ــ ﷺ ــ: «**إني فرطكم على الحوض. من مرَّ عليَّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً. ليردنَّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يُحال بيني وبينهم!! فأقول: إنهم منّي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك!! فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي**».

أيها التائبون: أبشروا بموعود الله وجنته، أبشروا بدار زينها الله بيده، وختم عليها، فلا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر!! أبشروا بالأنهار المطردة، أبشروا بالقصور الفارهة، والنعيم المقيم...

أبشروا بلقيا الأنبياء والمرسلين، وبلقيا محمد ــ ﷺ ــ؛ بل أبشروا بما هو أعظم وأجل وهو رؤية الله ــ تبارك وتعالى ــ في جنات النعيم... فاللهم لا تحرمنا من واسع فضلك.

الوقفة الثانية

عوامل تعين على ولوج باب التوبة

إن هناك عدداً من العوامل التي تعين العبد وتساعده على أن ينهض إلى رب التائبين فيكون منهم ومن ذلك:

أولاً: استشعار مراقبة الله لعبده:

إن من خير ما يعين العبد على الرجوع إلى ربه أن يعلم علم اليقين أن الله مطلع عليه، عالم بسرائره، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، كما قال الله ـــ عز وجل ـــ: ﴿**وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾(١).

إنه العالم بالسرائر، كما أنه العالم بالعلانية، الذي لا تخفى عليه خافية، ولا يمنع بصرَه أن يكون الإنسان في عقر داره، أو أن يتدثر بلحافه، أو أن يكون في جوف البحار أو فوق قمم الجبال... كل ذلك لا يمنع من رؤية الله له، فسبحانه من إله عظيم، وربٍّ لطيف خبير...

فمن علِم ذلك فليخجل من ربه وليستح منه!! كيف يجترئ على معصيته وهو يعلم أن الله يراه ﴿**أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ**

(١) يونس: ٦١.

يَرَى﴾؟!!(١).

يحكى أن رجلاً راود امرأة على الفاحشة، وكانت امرأة صالحة فأبت عليه ذلك. ومع مرور الأيام ـــ وقد كانت هذه المرأة فقــيرة وهذا الرجل غنياً ـــ جاءت إليه تطلب المال فقال: لا، حتى تمكنيني من نفسك!! حتى أفعل الحرام!! فقالت له: حسناً؛ لكنني أشــترط عليك شرطاً، فقال: وما هو؟ قالت: أن تغلّق الأبواب فــلا يرانــا أحد!! فقام فرحاً جذلاً وغلق الأبواب ثم عاد، فقال: ها قد غلقت الأبواب، قالت: أكُلُّ الأبواب؟ قال: نعم. قالت: بقي باب واحــد لم تغلقه !! قال: أين هو؟! قالت: الباب الذي بينك وبين الله!! هل تستطيع أن تغلقه ﴿**يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّــهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ**﴾ فقام هــذا الرجــل مرتعشاً خائفاً نادماً تائباً إلى الله تعالى.

رقيــب علــى كــل الوجــود مهــيمنٌ
علــى الفلــك الــدّوّار نجمــاً وكوكبــا
رقيــب علــى كــل النفــوس وإن تلُــذْ
بصــــمتٍ ولم تجهــــر بســــرٍّ تغيّبــــا
رقيــب تعــالى مالــك الملــك مبصــرٌ
بـــه كـــل شـــيء ظـــاهراً أو محجّبـــا

وفي هذا الوقت، في العصر الحاضر، يُذكر أن أحــد الشّــبان سافر إلى إحدى البلاد المشهورة بالانحلال والبغاء، فبينما هــو في

(١) العلق: ١٤.

شقته مع معشوقته وقد همَّ بمعاقرة الفاحشة معها نظرت هذه البغي ـــ وكانت بوذيّة ـــ فوجدت على الطاولة تمثالاً صـــغيراً لإلهها (بوذا) فقامت وأخذت لحافاً صغيراً وغطَّت إلهها!! تعجَّـــب هـــذا الشاب وسألها: لماذا فعلت ذلك؟ فقالت: إنني أخجل وأستحي أن أفعل هذه الفعلة أمام إلهي!!

هنا تحرك الإيمان في قلبه... وارتعدت فرائصه وتـــذكر ربـــه، فقال: أتخجلين أن تفعلي ذلك مع إله صنعتموه بأيديكم من حجر أصم لا يملك لكم نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشـــوراً؟!! وأنا لا أخاف ولا أستحي من الله الذي يراني مـــن فـــوق ســـبع سموات!!

وإذا خلـــــوت بريبـــــة في ظلمـــــة
والـــــنفس داعيـــــة إلى الطغيـــــان
فاســـتحي مـــن نظـــر الإلـــه وقـــل لهـــا
إن الـــــذي خلـــــق الظـــــلام يـــــراني

إن الله ـــ جل جلاله ـــ عالم بالسرائر والخفيّات، فـــإذا علـــم العبد ذلك يقيناً كان ذلك مما يعينه على أن يهجر المعصية ويقبـــل على الله ـــ تبارك وتعالى ـــ ويكون من التائبين.

ثانياً: مما يعين على ولوج باب التوبة:

تذكر عظمة الله وسطوته وانتقامه.

أيها المسرف على نفسه بالذنوب: أتدري من عصيت؟! أتعلم عظمة ربك ومولاك؟!

تأمل معي وانظر إلى آيات ربك في السماء والأرض لتنظر ولتعلم عظمة الخالق الذي اجترأت على معصيته.

قف معي ــ أخي في الله ــ قليلاً مع آيات من كتاب الله، واسرح بخيالك في ملكوت الله، في سمائه، وفي أرضه، وانظر، وتأمل إلى بدع صنعه في خلقه؛ لتوقن وتستدل بذلك على عظمته سبحانه...

يقول الله تعالى: ﴿**أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[(١)].

إن العاصي والمذنب حينما يعصي فإنه إنما يعصي رب السموات العُلى!!!

ليس ملكاً من ملوك الأرض، أو سيداً من ساداتها بل هو سيد الملوك وملك الملوك، ذو الطول شديد العقاب.

---

(١) النمل: ٦٠-٦٤.

تأمل معي إلى هذه السموات التي فوقك... كم بيننا وبين السماء الأولى منهن؟!! إنها مسافة مهولة شاسعة!! وفوقها ست سموات لا يعلم كم بينهن ولا ضخامة خلقهن إلا الواحد الأحد.

ولك أن تجري مقارنة بين هذه السموات العظام وكرسي الرحمن ــ جل في علاه ــ!! إنه شيء لا يمكن للعقل البشري إدراكه!! ﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾.

جاء عند البيهقي عن أبي ذر ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله ــ ﷺ ــ: «**ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة بأرض فلاة!! وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة!!**»[١].

هذا العرش العظيم تحمله ثمانية من الملائكة فقط؟!! نعم ثمانية، ولكن اسمع إلى صفة واحد من هؤلاء الملائكة الثمانية:

جاء عند الطبراني بسند صحيح يقول النبي ــ ﷺ ــ: «**أُذِن لي أن أحدث في صفة ملك من ملائكة عرش الرحمن، رجلاه في الأرض السفلى، وفوق قرنه عرش الرحمن، وما بين شحمة أُذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام!!**»[٢].

لا إله إلا الله!! أي مخلوق هذا؟!! وأي عقل سيتصور ضخامة هذا الجسد العظيم؟!! ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُو**﴾.

---

(١) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة حديث رقم (١٠٩).

(٢) المعجم الأوسط حديث رقم (٦٥٠٣) وانظر السلسلة الصحيحة حديث رقم (١٥١).

أيها الأحبة الكرام: إذا كان هذا هو وصف ملك واحد فكيف بثمانية مجتمعين؟!! وكيف سيكون عرش الله الذي تحمله هذه المخلوقات الضخمة؟!! بل كيف سيكون من استوى على العرش؟!! جلّ شأنه، لا إله إلا هو ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾(١) ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾(٢).

أفيجرؤ ذلك العاصي على مخالفة أمر الله ذي الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة؟!

فاللهم عفوك وسترك ورحمتك ﴿**لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾(٣).

إن الله ــ جل وعلا ــ ليملي للظالم ويعطيه فرصة بعد أخرى؛ لكنه إن لم يرجع فإنه سبحانه توعده بالعذاب إنْ في الدنيا وإنْ في الآخرة ﴿**سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ**﴾(٤).

جاء في المسند من حديث عقبة بن عامر ــ رضي الله عنه ــ يقول النبي ــ ﷺ ــ: «**إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج!!**» ثم تلا رسول الله ــ ﷺ ــ قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ**

(١) الشورى: ١١.
(٢) الأنعام: ١٠٣.
(٣) الأعراف: ١٤٩.
(٤) القلم: ٤٤-٤٥.

أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾(١).

كم من عاصٍ استهزأ بأوامر الله وتجرأ على حرماته فكان له مع الله موعد!! وكانت له ساعة انتقم الله ــ جل جلاله ــ منه فيها، وأراه الله قوته وبطشه...

ومن أعظم المواطن التي سينتقم فيها الله ويتخلى عن عبده وهو بأمس الحاجة إليه عند الموت...

عندما يكون العبد محتاجاً على ربه؛ فيتخلى الله عنه في هـــذه الساعة، وربما يعاقبه الله بعقوبة يراها الناس في الـــدنيا ﴿**وَلَعَـــذَابُ الْآَخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى**﴾...

أيها الإخوة والأخوات: أقرأُ عليكم رسالة وصلتني من إحدى الأخوات تذكر فيها حادثة شهدتها ووقفت عليها بنفسها، فيها ــ والله ــ عبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

أسوق لكم هذه القصة، وأقرأ عليكم بعضاً من هذه الرسالة:

تقول الأخت: «كانت لي إحدى قريباتي مسرفة على نفســها بالمعاصي، إهمال في الصلاة، تهاون في لــبس الحجــاب، هجــران لكتاب الله، تعلق بسماع الغناء... وبالجملة فقد كانت مفرطة على نفسها، بعيدة عن ربها...

أصيبت فجأة بصداع شديد في رأسها فارقت بعده الحياة وهي

(١) مسند الإمام أحمد، حديث رقم (١٧٣٤٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، حديث رقم (٤١٣).

تسبُّ أمها وتلعنها!! وتصرخ وتستغيث!! ولكن هيهات هيهات...» وأقول صدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ**﴾[1].

ثم ماذا حدث؟ لقد حدث أمر مروع!! تقول الفتاة: «فلما ماتت هذه المرأة انقلبت بشرة جسدها إلى اللون الأسود!! وجهها ويداها وسائر جسدها بشكل مخيف مروع، وانتفخت أعضاؤها، وأخذ الدم يسيل من فمها وأنفها وكأنه صنبور ماء متدفق!!

حاولوا إيقاف هذا الدم حين تغسيلها ولكنه لم يتوقف؛ بل زاد ـ والعياذ بالله ـ فكفنوها ودماؤها تسيل حتى صار كفنها الأبيض أحمر من كثرة الدماء!!

مع أن المرأة لم تصب بحادث ولا بجروح؛ ولكن هكذا أراد الله ـ تبارك وتعالى...»

ثم تسأل هذه الفتاة عن هذه الحالة البئيسة، ماذا تعني: أهي دليل على سوء الخاتمة؟ وتريد جواباً ليهدأ قلقها ويرقأ دمعها... وتذكر من حالتها النفسية بسبب هذا الحدث الشيء الكثير...

أقول: إننا لا نجزم لأحد بجنة ولا نار، إلا من شهد الله له بذلك أو رسوله ـ ﷺ ـ؛ ولكن ـ والله ـ إن هذا المصير لأمر

(١) الأنعام: ٩٤.

مروع مخيف لا يتمناه أحد. وشتان بين من يموت ساجداً لله أو قارئاً للقرآن وبين من يموت على مثل هذه الحالة. والناس شهود الله في أرضه كما قال رسول الله ـ ﷺ ـ فنسأل الله حسن الخاتمة وحسن العاقبة.

ثالثاً: مما يتعين على التوبة:

التأمل في نتائج المعصية وعقوبتها.

إن العاصي حين يرتكب فاحشة أو يقترف خطيئة فإن عاقبة فعله حسرة وهموم في الدنيا، وخزي وندامة يوم القيامة...

ولو حصل لذلك العاصي لذة في أثناء معاقرته للذنب إلا أنها لذة ممزوجة بكدر!! ثم إنها لذةٌ سرعان ما تنقضي وتنتهي وتبقى الآثام مسجلة مكتوبة عليه في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

تفنى اللذائذ ممن نال صفوها
من الحرام ويبقى الإثم والعارُ
تبقى عواقب سوء من مغبَّتها
لا خير في لذة من بعدها ولا نار

إن صرعى الشهوات وعبّاد الهوى هم أبأس الناس حالاً ولو زعموا غير ذلك، وهم والله في بحر الحزن والنكد غارقون، ولو أظهروا للناس عكس ما يبطنون...

يقول الحسن البصري ـ رحمه الله ـ واصفاً أهل المعاصي

الذين يبدو عليهم الترف والنعيم ويظهرون للناس أنهم سعداء يقول فيهم: «إنهم وإن هملجتْ بهم البراذين، وطقطقت بهم البغال إلا أن ذُلَّ المعصية في قلوبهم ووجوههم!! أبى الله إلا أن يذل من عصاه!!»(١).

فعلام يردي المرء نفسه في وحل المعصية وهذه عاقبتها في الدنيا؟!! وأما في الآخرة فالأمر فوق ما يخطر على البال!!

إنها النار وبئس القرار ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِلشَّوَى * تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾(٢) ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾(٣). ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾(٤) (لم؟) ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾(٥).

وشتان بين حياتين: حياة التائبين وحياة العاصين المذنبين ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا

---

(١) فتاوى ابن تيمية ٢١/٢٥٨.
(٢) المعارج: ١٥-١٨.
(٣) فاطر: ٣٦-٣٧.
(٤) الحج: ٢١-٢٣.
(٥) آل عمران: ١٨٢.

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[1].

رابعاً: (مما يعين على التوبة):

الجلوس إلى التائبين وقراءة سيرهم وقصصهم.

إن الجلوس إلى التائبين والتأمل في مشوار توبتهم ورجوعهم إلى الله لهو مما يعين على سلوك مسلكهم؛ ذلك أنهم قوم منكسرة قلوبهم، قريبون من ربهم، يتذكرون حياة اللهو والمعصية فيوجلون ويخافون، وتقشعر أجسادهم خوفاً من عواقبها، ثم يتأملون في توبتهم فيخافون ألا تقبل منهم!! فقلوبهم كقلوب الطير في خوف ووجل وانكسار ورقّة لله ـــ تبارك وتعالى...

إنها قلوب التائبين المنيبين للرحيم الكريم، فكان لزاماً على كل من أراد التوبة أن يجلس إلى هؤلاء التائبين ليستفيد منهم ويأخذ العبرة والعظة، وإن لم يكن كذلك فلا أقل من أن يقرأ سيرهم وقصصهم.

يقول عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ: «أكثروا الجلوس إلى التائبين فإنهم أرق أفئدة».

وسأقف وإياكم في هذه العجالة مع قصتين، لشاب تائب وفتاة تائبة ممن ركبوا قافلة التائبين وأنابوا لله رب العالمين...

ولعل في هاتين القصتين ما يكون دافعاً إلى التوبة إلى الله ـــ جل

---

(١) الجاثية: ٢١.

جلاله ــ والرجوع إليه...

أما قصة الشاب فقد حكاها ابن قدامة في كتاب التوابين يقول ــ رحمه الله ــ: «عن رجاء بن ميسور المجاشعي قال: كنا في مجلس صالح المريّ وهو يتكلم، فقال لفتى بين يديه وعنده الناس: اقرأ يا فتى، فقرأ الفتى قول الله ﴿**وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآَزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ**﴾، قال صالح المريّ يفسر هذه الآية: كيف يكون للظالمين حميم أو شفيع والمطالب له رب العالمين؟!! إنك والله لو رأيت الظالمين وأهل المعاصي يساقون في السلاسل والأنكال إلى الجحيم حفاةً عراةً، مسودة وجوههم، مزرَّقة عيونهم، ذائبة أجسادهم، ينادون: يا ويلنا، يا ثبورنا ماذا حل بنا؟! أين يُذهب بنا؟! ماذا يراد منا؟! والملائكة تسوقهم بمقامع النيران، فمرةً يجرون على وجوههم ويسحبون عليها منكبين، ومرة يقادون إليها مقرنين من بين باكٍ دماً بعد انقطاع الدموع، ومن بين صارخ طائر القلب مبهوت!! إنك ــ والله ــ لو رأيتهم على ذلك لرأيت منظراً لا يقوم له بصرك، ولا يثبت له قلبك، ولا تستقر لفظاعة هوله على قرار قدمك، قال: ثم نحب صالحٌ وبكى قائلاً: يا سوء منظراه، يا سوء منقلباه. وبكى وبكى الناس معه...

وكان من بين الحاضرين فتى مسرف على نفسه معروف بغفلته، قال هذا الفتى بعد أن سمع ما سمع: أكلّ هذا في يوم القيامة يا أبا بشر؟ قال: نعم ــ والله ــ يا ابن أخي وما هو أكثر، قد بلغني أنهم يصرخون في النار حتى تنقطع أصواتهم فما يبقى منهم إلا

كهيئة الأنين من المدنف!! فصاح هذا الفتى الذي كان غافلاً وقال: إنا لله، واغفلتاه عن نفسي أيام الحياة، واأسفاه على تفريطي في طاعتك يا سيداه، واأسفاه على تضييعي لعمري في أيام الدنيا. ثم بكى واستقبل القبلة وقال: اللهم إني أستقبلك في يومي هذا بتوبة لا يخالطها رياء لغيرك. اللهم فاقبلني على ما كان فيّ، واعفُ عما تقدم من فعلي، وأقِلْني في عثرتي، وارحمني ومن حضر، وتفضل علينا بجودك وكرمك، يا أرحم الراحمين: لك ألقيتُ معاقد الآثام من عنقي، وإليك أنَبتُ بجميع جوارحي صادقاً لذلك قلبي، فالويل لي إن لم تقبلني!!

ثم غُلِبَ فسقط مغشياً عليه!! فحُمل من بين القوم صريعاً!! فمكث صالح المريّ وإخوته يعودنه أياماً، ثم مات ـــ رحمه الله!! فحضر جنازته خلقٌ كثير يبكون عليه ويدعون له...

وكان صالح المريّ كثيراً ما يذكره في مجلسه فيقول: بأبي قتيل القرآن!! بأبي قتيل المواعظ والأحزان!!

قال: فرآه رجل في منامه بعد موته فقال: ما صنعت؟. قال: عمَّتني بركة مجلس صالح المريّ، فدخلت في سعة رحمة الله التي وسعت كل شيء!![1].

نعم أيها الأخوة والأخوات: كيف لا تكون رحمة الله لمن أقبل إلا إليه وأناب واستغفر من ذنبه وتاب؟!!

(١) كتاب التوابين لابن قدامة، ص(٢٦١).

فحيّهلاً أيها الحبيب: بادر قبل زمن الفوات، واطـــرق بـــاب الكريم الجواد الرؤوف الرحيم...

أما النموذج الثاني لمن أحياه الله بعد موت، وأنقذه بعد غـــرق في بحار المعصية والخطيئة فهي قصة لفتاة في هذا العصر. تـــاب الله عليها بسبب معلمتها، تروي قصتها بنفسها مع شيء من التصرف اليسير فتقول: «لا أدري بأي كلمات سوف أكتـــب؟ أم بـــأي عبارات الذكرى الماضية التي أتمنى أنها لم تكن؟

لقد كان إقبالي على سماع الأغاني كبيراً، حتى إنني لا أنـــام ولا أستيقظ إلا على أصوات الغناء!!

أما المسلسلات والأفلام فلا تسل عنها في أيام العطل لا أفـــرغ من مشاهدتها إلا عند الفجر!! في وقت ينزل فيـــه رب الســـماء فيقول: هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه سؤله؟ وأنا ساهرة على أفلام الضياع!!

وأما زينتي وهيئتي: فكهيئة الغافلات أمثالي في هـــذا الســـن!! قَصَّة غربية، ملابس ضيقة وقصيرة، أظافر طويلة، تهاون بالحجـــاب إلى غير ذلك من ألوان المعصية والتقصير.

تقول: في الصف الثاني الثانوي دخلت علينا إحدى المعلمات، وكانت معلمة فاضلة شدني إليها حسن خلقها، وإكثارها من ذكر الفوائد، وربطها المادة بالدين.

حملتني أقدامي إليها مرة، لا أدري ما الذي ساقني إليها؟! لكنها كانت البداية...

جلست إليها مرة أو مرتين، فلما رأت مني تقبلاً واستجابة نصحتني بالابتعاد عن سماع الغناء ومشاهدة المسلسلات قلت لها: لا أستطيع. قالت: من أجلي، قلت: حسناً من أجلك، ثم صمت قليلاً وقلت بعد ذلك: لا ليس من أجلك بل لله ــ إن شاء الله... وكانت قد علمت منّي حبَّ التحدي فقالت: ليكن تحدٍّ بينك وبين الشيطان، فلننظر لمن تكون الغلبة، فكانت آخر حلقة في ذلك اليوم. فلا تسل عن حالي بعد ذلك (تقصد ما واجهها من صراع ومجاهدة)، لا تسل عن حالي وأنا أسمع من بعيد أصوات الممثلين في المسلسلات: أأتقدم وأشاهد المسلسل؟ إذاً سيغلبني الشيطان...

ومن تلك اللحظة تركت سماع الغناء ومشاهدة المسلسلات، لكن بعد شهر تقريباً عدت إلى سماع الغناء خاصة، واستطاع الشيطان رغم ضعف كيده أن يغلبني لضعف إيماني بالله!!

تقول: وفي السنة الثالثة دخلت علينا معلمة أخرى كنت لا أطيق حصتها، ولا أطيق رؤية هذه المعلمة بسبب درجة متدنية حصلت عليها عندها، و لم أكن قد اعتدت الحصول على مثل هذه الدرجة، لكن عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم.

وبعد أن ساقت حواراً بينها وبين هذه المعلمة التي كانت صالحة وتقية، تقول بعد ذلك صافحتني المعلمة ووضعت في يدي مصحفاً صغيراً، وقبضت على يدي وقالت: لا أقول إنه هدية؛ بل هي أمانة فإن استطعتِ حملها وإلا فأعيديها إليّ!! فوقع في نفسي حديثها!! لكن لم أستشعر ثقل الأمانة إلا بعد أن قابلت إحدى الأخوات الصالحات فأخبرتها بما حدث وبما قالت لي المعلمة قالت: فتغير وجه تلك الأخت

الصالحة وقالت لي: أتعلمين ما هي الأمانة؟! أتعلمين ما هي مسـؤولية هذا الكتاب؟! أتعلمين كلام من هذا؟! أوامر من هذه؟!

عندها استشعرت ثقل الأمانة التي حملتها، فكان القرآن العظيم أكبر هدية أهديت لي، فانهمكت في قراءته وهدرت وبكل قوة وإصرار الغناء والمسلسلات... إلا أن هناك نقصاً فيَّ؛ حيث إن هيئتي لم تتغير كثيراً، قَصَّة غربية وملابس ضيقة ونحو ذلك مما يعد نقصاً في سمات الفتاة الملتزمة. ومع طول المجاهدة وكثرة النصائح تحسنت حالي والحمد لله، إلا أن الحدث الذي غير مجرى حياتي، وكان له أبلغ الأثر في نفسي هو ما حدث في يوم من الأيام... حيث ذهبت مع إحدى الأخوات إلى مغسلة الأموات... فإذا بالمغسِّلة تُغسِّل شابة تقارب الثالثة والعشرين من عمرها، وكانت في المستوى الثالث من الجامعة، تقول: ولا أستطيع وصف ما رأيت!! تُقَلَّب يميناً وشمالاً لتُغسَّل وتكفَّن وهي باردة كالثلج!! وأمها حولها وأختها وأقاربها.

أتراها تقوم وتنظر إليهم آخر نظرة وتعانقهم وتودعهم؟! أم تراها توصيهم آخر وصية؟! كلا، لا حِراك!!

وإذا بأمها تقبّلها على خدها وجبينها وهي تبكي بصمت وتقول: اللهم ارحمها، اللهم وسع مدخلها، اللهم اجعل قبرها روضة من رياض الجنة، ثم تردف الأم كلامها وتقول: قد سامحتك يا ابنتي، قد سامحتك يا ابنتي!!

ثم يسدل الستار على وجهها بالكفن...

تقول هذه التائبة: ما أصعبه من منظر... وما أبلغها من موعظة... لحظات وتوضع في اللحد، ويُهال عليها التراب وتُسأل عن كل ثانية من حياتها... فوالله مهما كتبتُ من عبارات ما استطعت أن أحيط بذلك المشهد!! لقد غير ذلك المشهد أموراً كثيرة بداخلي، وزهدني في هذه الدنيا...

وإني لأتوجه إلى كل معلمة بل إلى كل داعية أياً كان مركزها: ألا تتهاون في إسداء النصح وتقديم الكلمة الطيبة، حتى وإن أُقفلت في وجهها جميع الأبواب حسبها أن باب الله مفتوح...

كما أتوجه إلى كل أخت غافلة عن ذكر الله، منغمسة في ملذات الدنيا وشهواتها أن عُودي أُخيَّة فوالله إن السعادة كل السعادة في طاعة الله.

وإلى كل من رأت في قلبها قسوة، أو ما استطاعت ترك ذنب ما، أن تذهب إلى مغسلة الموتى وتراهم وهم يغسَّلون ويكفَّنون!!

والله إنها من أعظم العظات، وكفى بالموت واعظاً، أسأل الله لي ولكُنَّ حسن الخاتمة...»

الوقفة الثالثة

أيها المذنب لِم الشكوى وبين يديك العلاج؟!!

يشتكي كثير من العصاة من هموم ألزمتهم، وأحزان لم تبرحهم، ومصائب لم تفارقهم... يندبون حظهم وتعاسة حالهم... والحقيقة أنهم هم سبب ذلك!!

وإن تعجب فعجبٌ حالهم!! بين أيـــديهم العـــلاج النـــاجح لأدوائهم ومع ذلك فقد أعرضوا!! فلم الشكوى إذن؟!!

لم التشكي والتسخّط وحبل النجاة ممدود تجاهكم؟!!

تأملوا إخوتي وأخواتي هذه الكلمات الجميلة للإمام ابن القـــيم ـــ رحمه الله ـــ وهو يخاطب ذلك المذنب الذي يكثـــر الشـــكوى والتألم وبين يديه باب النجاة، يقول ـــ رحمه الله ـــ: «ويســـتغيث مع ذلك (يعني المذنب): العطشَ العطشَ!! وقد وقف في طريق الماء، ومنع وصوله إليه!! فهو حجاب قلبه عن سرِّ غيبه، وهو الغيم المانع لإشراق شمس الهدى على القلب. فتبّاً له من ظالم في صورة مظلوم، شاكياً والجناية منه!! قد جد في الإعراض وهو ينادي: طـــردوني، أبعدوني!! يأخذ الشفيق ـــ ﷺ ـــ بحجزته عن النار، وهو يجاذبـــه ثوبه ويغلبه ويقتحمها!! ويستغيث: ما حيلتي وقـــد قـــدموني إلى الحفرة وقذفوني فيها!! والله كم صاح به الصائح: الحذر الحـــذر!! إياك إياك!! وكم أراه مصارع المقتحمين، وهو يأبى إلا الاقتحام!! يا ويله ظهيراً للشيطان على ربه، خصماً لله مع نفســـه، جـــبري المعاصي قدري الطاعات، عاجز الرأي، مضياعاً لفرصته، قاعداً عن مصالحه، معاتباً لأقدار ربه. يحتج على ربه بما لا يقبله هو من ولده وامرأته!! هذا مع تواتر إحسان الله إليك (أيها المذنب) على مـــدى الأنفاس: أزاح عللك، ومكّنك من التزود إلى جنته، وبعث إليـــك الدليل، وأعطاك السمع والبصر والفؤاد، وعرفك الخـــير والشـــر والنافع والضار، وأرسل إليك رسوله وأنزل إليك كتابـــه. أمـــرك بسؤاله ليعطيك فلم تسأله!! بل أعطاك أجلّ العطايا بلا سؤال فلم

تقبل!! تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك؟!! وتتظلم ممن لا يظلمك إلى من يظلمك وتدعو من يعاديك ويظلمك؟!! وإن أنعم عليك بالصحة والعافية والمال والجاه استعنت بنعمه على معصيته؟!! دعاك إلى بابه فما وقفت عليه ولا طرقته!! ثم فتحه لك فما ولجته!! ومع هذا لم يؤيِّسك من رحمته بل قال: **متى جئتني قبلتك، إن أتيتني ليلاً قبلتك، وإن أتيتني نهاراً قبلتك، وإن تقربت مني شبراً تقربت منك ذراعاً، وإن تقربت مني ذراعاً تقربت منك باعاً، وإن مشيت إلي هرولت إليك. ولو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً أتيتك بقرابها مغفرة!! ولو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك!! فمن أعظم مني جوداً وكرماً؟!! عبادي يبارزونني بالعظائم وأنا أكلؤهم على فرشهم!! إني والجن والأنس في نبأ عظيم: أخلق ويعبد غيري؟! وأرزق ويشكر سواي؟! خيري إلى العباد نازل وشرهم إليَّ صاعد!! أتحبب إليهم بنعمي وأنا غني عنهم، ويبتغضون إليَّ بالمعاصي وهم أفقر شيء إليَّ!! من أقبل إليَّ تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني ناديته من قريب، ومن ترك لأجلي أعطيته فوق المزيد، ومن أراد رضاي أردت له ما يريد، ومن تصرف بحولي وقوتي ألنت له الحديد. أهل ذكري أهل مجالستي، وأهل شكري أهل زيادتي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي. إن تابوا إليَّ فأنا حبيبهم فإني أحب التوابين وأحب المتطهرين، وإن لم يتوبوا إليَّ فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب. من آثرني على سواي آثرته على سواه. الحسنة عندي بعشر**

أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والسيئة عندي بواحدة، فإن ندم عليها واستغفرني غفرتها له، أشكر القليل من العمل، وأغفر الكثير من الزلل، رحمتي سبقت غضبي، وحلمي سبق مؤاخذتي، وعفوي سبق عقوبتي، أنا أرحم بعبادي من الوالدة بولدها»[1].

أرأيتم ــ عباد الله ــ إلى الفضل الزاخر من أرحم الراحمين؟!! سبحانه وبحمده، ما أعظم كرمه وجوده، وما أوسع فضله وعطاءه. فلا حجة ــ والله ــ بعد ذلك لمذنب ولا لمشتكّي.

الوقفة الرابعة

مزالق ومحاذير في باب التوبة

إن هناك ــ أيها الإخوة والأخوات ــ جملة من المحاذير والمزالق حول موضوع التوبة يحسن بنا أن نقف عندها لنحذر منها وننفر من سلوكها، فكم زلت بها من قدم، وكم هوى بها من إنسان. ومن تلك المزالق والمحاذير:

أولاً: التسويف وتأجيل التوبة:

لا يزال كثير من المذنبين يؤخر رجلاً ويقدم أخرى في شأن التوبة، فمنهم من يؤخرها إلى ما بعد الزواج!! ومنهم من يضع في باله سناً افتراضياً إذا وصل إليه فإنه سيتوب!! ومنهم من يقول إذا

(١) تهذيب مدارج السالكين ١/١٩٥.

وصلت إلى مرحلة الشيخوخة والهرم تبت إلى الله!! لكنَّ كثيراً من أولئك لم يمهلهم هادم اللذات وقاصم الجبابرة والسادات. فقد هجم عليهم وخابت آمالهم، وعاجلهم فخسروا الدنيا والآخرة ﴿**أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**﴾.

إنه ـــ يا عبد الله ـــ ليس للمرء إلا روح واحدة، ليس لـــه إلا فرصة واحدة، فإن ضاعت هذه الفرصة فإنه لا فرصة بعدها!!

إن التوبة واجبة على الفور يحرم التسويف فيها والتأجيل. يقول ابن القيم ـــ رحمه الله ـــ: «المبادرة إلى التوبة من الذنب فرض على الفور، ولا يجوز تأخيرها. فمتى أخّرها عصى الله بتأخيرها!! فـــإذا تاب من الذنب بقيت عليه توبة أخرى وهي توبتـــه مـــن تـــأخير التوبة»[١].

وقال ابن الجوزي في كتابه (بحر الدموع): «يا بطال! إلى كـــم تؤخر التوبة وما أنت في التأخير معذور؟!! إلى متى يقـــال عنـــك مفتون مغرور؟! يا مسكين: قد انقضت أشهر الخير وأنـــت تعـــد الشهور!! أترى مقبول أنت أم مطرود؟! أترى مواصـــل أنـــت أم مهدور؟! أترى تركب النُّجُبَ غداً أم أنت على وجهك مجـــرور؟! أترى من أهل الجحيم أنت أم من أرباب القصور؟!»[٢].

أيها المسوف في التوبة: البدار البدار قبل أن يختم لك بخاتمـــة سوء!!

---

(١) تهذيب مدارج السالكين ١/٢٤٧.

(٢) بحر الدموع لابن الجوزي ص٥٧.

لا تؤخر التوبة حتى يأتي الأجل وتحين ساعة الصفر!! فعندها هيهات هيهات أن تقبل منك التوبة كما قال ـ جل جلاله ـ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1].

ثانياً: ترك التوبة اتكالاً على سعة –رحمة الله:

كثير من أهل الذنوب والتقصير إذا حدّث بحتميّة الاستعجال في التوبة والإقلاع عن التفريط في جنب الله بادرك بأحاديث وآيات الرجاء!! فقال: (الله غفور رحيم) (رحمته وسعت كل شيء) (رحمته سبقت غضبه) (الله غني عنا وعن طاعتنا) ونحو ذلك من عبارات هي بلا شك حق؛ لكنه قد استند عليها من أجل أن يسوغ لنفسه فعل المعصية وترك الطاعة!!.

إن المرء العاقل الذي يحسن الظن بالله ويرجو رحمته ينبغي عليه أن يحسن العمل أيضاً. وإلا فحُسن الظن مع اتباع الهوى عجز، ومن اعتمد على العفو مع الإصرار على الذنب فهو كالمعاند.

قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا بلا توبة يقول أحدهم: لأني أحسن

(١) النساء: ١٧-١٨.

الظن بربي!! وكذب، لو أحسن الظن لأحسن العمل»[(١)].

ويقول ابن القيم ــ رحمه الله ــ: «كثيرٌ من الجهال اعتمدوا على رحمة الله وعفوه وكرمه، فضيعوا أمره ونهيه ونسوا أنه شديد العقاب، وأنه لا يُرد بأسه عن القوم المجرمين. قال معروف: رجاؤك لرحمة من لا تطيعه من الخذلان والحمق. وقيل للحسن البصري ــ رحمه الله ــ: نراك طويل البكاء؟! قال (وهو الزاهد العابد التقي): أخاف أن يطرحني في النار ولا يبالي!! وسأله رجل: يا أبا سعيد، كيف نصنع بمجالسة أقوام يخوفوننا حتى تكاد تطير قلوبنا؟! قال: والله لأن تصحب أقواماً يخوّفونك حتى تدرك أمناً خير لك من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتى تلحق بالمخاوف».

أيها الإخوة والأخوات: يجب علينا ألا نتساهل بالمعصية أبداً؛ فإن الحساب دقيق؛ وإن الديان ــ جل جلاله ــ لا يموت. وإذا استصغرت المعصية فتذكرت عظمة من عصيته!!

روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي رافع قال: «مرّ النبي ــ ﷺ ــ بالبقيع فقال: «**أفٍّ لك**» فظننته يريدني، فقال: «**لا، ولكن هذا قبر فلان بعثته ساعياً إلى آل فلان فغلّ نمره** ــ يعني سرق كساءً ــ **فدرِّع الآن مثلها من النار!!**»»[(٢)]. وهذا الحديث في ثبوته نظر إلا أنه قد جاء في قصة شبيهة في صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمر ــ رضي الله عنه.

(١) فيض القدير ٥/٦٧.
(٢) مسند الإمام أحمد، حديث رقم (٢٧٢٣٦)، وضعف إسناده الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند.

وجاء أيضاً في صحيح مسلم عن أبي أمامة ـــ رضي الله عنــه قال النبي ـــ ﷺ ـــ: «**من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينــه فقــد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة**» فقال له رجل: وإن كــان شيئا يسيرا يا رسول الله؟ قال: «**وإن قضيبا مــن أراك!!**» أي وإن كان عودا من سواك(١).

فالحذر الحذر من الاتكال على سعة رحمة الله وتــرك التوبــة والرتوع في معصية، فإن الحساب حاصل لا محالة، والمرجع حتمــا إلى الله رب السماوات والأرضين.

ثالثا: ترك التوبة خشية الرجوع في الذنب:

من الناس من يرغب في التوبة وتأكل فؤادَه نيرانُ المعصية، لكن الذي يمنعه من التوبة هو خشية الرجوع إلى المعصية مرة أخــرى. وربما أنه سبق له أن تاب من ذنب لكنه عاد إليــه، فجــاء إليــه الشيطان ونفث في روعه وقال: أنت كاذب في توبتك، هذه ليست توبة، كيف تتوب ثم تعود؟! هذا استخفاف بالله!! ثم تراه بعد ذلك يستسلم لتلك النزغات الخبيثة وذلك المكر الكُبّار!!

والجواب على مثل هذه الشبهة أن يقال: بل تبْ واصــدق في توبتك، واندم على زلتك، واعزم على عدم الرجوع إليهــا. فــإن عدتَ فعدْ إلى التوبة ثانية وثالثة ورابعــة... وإن رأى الله منــك الصدق والمجاهدة فإنه سيعينك ويوفقك.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة النار، حديث رقم (٣٥١).

جاء رجل إلى أحد السلف فقال له: الرجل يعمل الذنب مـــاذا يصنع؟ قال: يتوب. قال: ثم يعمله أخرى فماذا يصنع؟ قال: يتوب. قال: ثم يعمله ثالثة ماذا يصنع؟ قال: يتوب. قال: إلى متى؟ قال: إلى أن يكون الشيطان هو المدحور!!.

إن من حقق شروط التوبة وأقلع عن المعصية ثم عاد إليها بعد ذلك فإن توبته الأولى مقبولة صحيحة؛ لأنه كان عازماً على ألا يعود. وقد جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ قال ـــ ﷺ ـــ: «**أذنب عبد ذنباً فقال: اللهم اغفر لي ذنبي. فقـــال ـــ تبارك وتعالى ـــ: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له ربّاً يغفـــر الـــذنب ويأخذ بالذنب؟! ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي. فقال ـــ تبارك وتعالى ـــ: عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب؟! ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي. فقال ـــ تبارك وتعالى ـــ: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب؟ اعمل ما شئت فقد غفرت لك!!**»(١).

قال النووي في شرحه لصحيح مسلم في قوله ـــ عز وجـــل ـــ للذي تكرر ذنبه (**اعمل ما شئت فقد غفرت لك**): «معنـــاه مـــا دمت تذنب ثم تتوب فقد غفرت لك»(٢).

رابعاً: تعاظم الذنب واليأس من رحمة الله:

كم أقعد اليأس من مذنب عن أن يطرق باب الكريم!! تعـــاظم

---

(١) رواه مسلم، كتاب التوبة، باب سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه، حديث رقم (٦٩١٩).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٧٥/١٧).

ذنبه ونسي أن رحمة الله أعظم وأجل. فكلما هم بالتوبة تذكر ذنوبه وموبقاته فقال: أنّى لي بمغفرة الله وقد فعلت وفعلت؟!! وما يدريكم عن حالي وذنوبي التي اقترفتها وعن سيئاتي التي اجترحتها؟!

فأقول: صدقت نحن لا ندري عنها، لكن حسبنا أن الله يدري بها ومع ذلك لم يعاجلك بالعقوبة!! ينتظر منك أن تطرق باب جوده، يمهلك شفقة عليك ورحمة بك...

روى ابن ماجة في كتاب (الزهد) وصححه الألباني من حديث أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ أن النبي ــ ﷺ ــ قال: «**لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم!!**»[(١)].

وجاء في المسند من الحديث صفوان ــ رضي الله عنه ــ قال ــ ﷺ ــ: «**إن بالمغرب باباً مفتوحاً للتوبة، مسيرته سبعون سنة لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه**»[(٢)].

وبالجملة: فإن الله لا يتعاظمه ذنب أياً كان الذنب، وهو القائل ــ جل شأنه ــ: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[(٣)].

فيا من ألَّم بذنب وخشي ألا يغفر الله له: اقرأ قوله ــ تعالى:

---

(١) رواه ابن ماجة، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، حديث رقم (٤٢٤٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، حديث رقم (٩٠٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند، حديث رقم (١٨٠٩٣) وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجة، حديث رقم (٣٢٨٩).

(٣) الزمر: ٥٣.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[(١)].

أورد ابن القيم رحمه الله في (مدارج السالكين) قصة عن بعض الصالحين: إنه رأى في بعض الطرق باباً قد انفتح وخرج منه صبي يستغيث ويبكي، وأمّه من خلفه تطرده حتى أغلقت الباب دونه!! فذهب الصبي غير بعيد ثم وقف مفكراً... فلم يجد له مأوى غير البيت الذي أخرج منه، ولا من يأويه غير والدته!! فرجع مكسور القلب حزيناً فوجد الباب مرتجاً (أي مقفلاً) فتوسّده ووضع خده على عتبة الباب ونام!! فخرجت أمه فلما رأته على تلك الحال، لم تملك أن رمت بنفسها عليه والتزمته تقبّله وتبكي وتقول: يا ولدي أين تذهب عني؟! ومن يأويك سواي؟! ألم أقل لك: لا تخالفني ولا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جُبلت عليه من الرحمة بك والشفقة عليك وإرادة الخير لك؟! ثم أخذته ودخلت...

علّق ابن القيم على هذه القصة بكلام جميل فقال: «تأمل قولها (لا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جُبلت عليه من الرحمة والشفقة) وتأمل قول النبي ـ ﷺ ـ: «**لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها**» وأين تقع رحمة الوالدة من رحمة الله التي وسعت كل شيء؟!!»[(٢)].

الله أكبر يا عباد الله!! ما أعظم رحمة الله!! ما أعظم ما ادخره سبحانه من الرحمات للتائبين والتائبات!!

---

(١) النساء: ١١٠.
(٢) تهذيب مدارج السالكين ٢١٢/١.

جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ـــ رضي الله عنـــه ـــ يقول النبي ـــ ﷺ ـــ: «**جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمســك عنده تسعة وتسعين، وأنزل إلى الأرض جزءً واحداً. فمن ذلــك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه!!**»[1].

وجاء في بعض الآثار: إن إبليس يوم القيامة يرفع رأسه يريد أن تدركه رحمة الله؛ لما يرى من تنزل الرحمات على عباد الله!!.

فيا أيها المذنب ـــ وكلّنا كذلك ـــ: هذا هو الباب مفتوح بين يديك فعجل بالولوج، وانطرح بين يدي ربك...

انطرح عند عتبة باب مولاك...

مرِّغ جبهتك تذللاً لسيدك...

فرّ منه إليه، فما من عاصم من الله إلا إليه... وقل بلسان العبد المعترف الأوّاب:

أيـــا مـــن لـــيس لي منـــه مجـــيرُ
بعفـــوك مـــن عـــذابك أســـتجيرُ
أنـــا العبـــد المقـــرّ بكـــل ذنـــب
وأنـــت الســـيد المـــولى الغفـــورُ
فـــإن عـــذبتني فبســـوء فعلـــي
وإن تغفـــر فأنـــت بـــه جـــديرُ

---

(١) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله، حديث رقم (٢٧٥٢).

أفـــــرُّ إليــــــك منـــــــك وأيـــــــن إلاّ
يفـــــــر إليـــــــك منـــــــك المســـــــتجيرُ

لم يبق ــ والله يا عباد الله ــ من حلاوة العيش ــ كما قـــال بعض السلف ــ إلا أن نمرَّغ وجوهنا في التـــراب ســـاجدين لـــه سبحانه...

وإن ذاقت عليك الأرض بما رحبت واستوحشت من ذنوبك، وغلّقت دونك الأبواب فاعلم أن باب الله مفتوح لا يغلق. وارفـــع شكواك إليه لا إلى سواه، وقم في ظلمات الليل، وبـــث همومـــك وأحزانك إلى ربك؛ فإنه العليم بالسرائر وما تكنُّه الضمائر...

طرقت باب الرجـــا والنـــاس قـــد رقـــدوا
وبـــت أشـــكو إلى مـــولاي مـــا أجـــدُ
فقلـــت يـــا أملـــي في كـــلّ نائلـــة
ومـــن عليـــه لكشـــف الضـــرّ اعتمـــدُ
أشـــكو إليـــك أمـــوراً أنـــت تعلمهـــا
مـــالي علـــى حملـــها صـــبرٌ ولا جلـــدُ
وقـــد مـــددتُ يـــدي بالـــذلّ معترفـــاً
إليـــك يـــا خـــير مـــنْ مـــدَّت إليـــه يـــدُ

اللهم يا سامع الدعوات، ويا مقيل العثرات، ويا غافر الزلات: اجعلنا من عبادك التائبين، واغفر لنا ذنوبنا أجمعين...

اللهم إنّا نشكو إليك ضعف إيماننا، وقلة صبرنا، وجرأتنا على معصيتك!! فاللهم إنا نتضرع إليك، ونبتهل إليك أن تلطف بنـــا،

وأن لا تعاجلنا بعذابك...

اللهم لا تفضحنا يوم العرض الأكبر عليك. وكما سترت ذنوبنا عن الناس فاغفرها لنا يوم لقياك...

اللهم أحسن لنا الختام، واغفر لنا جميع الآثام، واجمعنا في دار النعيم والإكرام، ووالدينا وأزواجنا وذرياتنا والمسلمين ﴿**مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا**﴾(١). وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين،،.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) النساء: ٦٩-٧٠.